السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس 23 تشرين الأول 2014 ـ الموافق 29 ذي الحجة 1435 هـ ـ العدد 12904

AS-SAFIR Arabic political daily – October 23, 2014 N° 12904

1 | 15

غزة تقول لـ«الفلسطينيين الجدد»: لا نريد رام الله أخرى هنا. و«عن الحب والرعب وجواسيس الشر»، أو الانتحار الجماعي في حروب مدمرة. ونمر النمر أكثر من «رجل دين شيعي».

2

رهانات الانتخابات التشريعية في تونس أو إعادة الاعتبار للسياسة. وخريطة الطبقة الوسطى المصرية في التعليم، بعد تفتيته. وفي «الزاوية الحمرا» رحلة إلى بلاد داعش في العام 2020.

3

الآمال والإحباطات التي يثيرها في مصر علاج جديد لالتهاب الكبد الفيروسي، حيث 22 في المئة من السكان مصابون: الأولى عالمياً! وفي بألف كلمة: مهرجانات «أطفال الأقصى» ترسم البهجة.

4

بوتفليقة ونهاية عهد لا ينتهي

يوم 15 تشرين الأول/ أكتوبر الجاري، وعشية الاحتفالات بالذكرى الستين لانطلاق حرب التحرير الوطنية (في الأول من تشرين الثاني/نوفمبر 1954)، تظاهر آلاف عدة من أفراد شرطة مكافحة الشغب في شوارع الجزائر العاصمة متجهين إلى القصر الجمهوري للمطالبة بإقالة رئيسهم، الجنرال عبد الغني هامل، الذي يتهمونه بقلة الكفاءة وبالفساد. كما تقدّموا بحوالي 20 مطلباً تتضمن مضاعفة رواتبهم الأساسية، وخفض عدد سنوات خدمتهم، وشمولهم ببرامج الإسكان المدعومة، وإعادة آلاف من زملائهم المصروفين من العمل.. وبالسماح لهم بإنشاء نقابة! وهم طلبوا مقابلة رئيس الوزراء لعلمهم أن رئيس البلاد «خارج الحلبة»..

بدأت أعمال التمرد هذه في غرداية جنوب البلاد، وهي بالطبع غير مسبوقة، كما تتناقض مع قرار منع التظاهر المطبق في العاصمة، وتتجاوز التحريم الذي يطال البوليس لجهة الاعتراض العلني. وفي الواقع، تنفذ الشرطة إضراباً غير معلن في أجزاء واسعة من البلاد، وتجري تجمّعات بلباس رسمي أو مدني، بينما تختفي الحواجز المعهودة من الشوارع. هُمْ، مَن يمنعون الناس، منذ 13 كانون الثاني/يناير 1992، من التظاهر ويقمعونهم بعنف، يتظاهرون بدورهم، ومَن يلاحقون النقابات المستقلة يطالبون بنقابة لهم! وبالطبع، لم تصادف تحركات البوليس تلك أي تعاطف من الشاترع، ولاسيما أن السلطات تعاملها بتفهم واحترام، وتسجل «طابعها المسؤول»، مما غذّى افتراضات بأنها أحد مظاهر الصراع الجاري في رأس هرم السلطة، وبين جماعاتها المختلفة، حول وراثة الرئيس بوتفليقة والسيطرة على الريع (المتناقص)، إذ يرغب بعضهم بتسريع العملية فيما يحاول آخرون الإبقاء على الوضع معلّقاً لأطول مدة ممكنة. وبغض النظر عن افتراضات التلاعب والتحريك والجهات التي تتحكم بهما، فالوضع مقلق لنظام مهندس بالدرجة الأولى حول أجهزة البوليس المختلفة، التي يعبر تمردها عن الخسارة المتسارعة للقدرة على السيطرة، وعن العجز المذهل للإدارة، وعن التآكل في الأداة التقليدية التي يستخدمها النظام للتحكم بالمجتمع.

هل تمثّل خلافةُ عبد العزيز بوتفليقة مناسبةً لتجديد الطبقة السياسية والممارسات السياسية السائدة، وكلاهما مطبوعٌ بالعنف والفساد؟ التحضير لهذه الخلافة هو اليوم محلّ صراعات دفينة، فعلى الرغم من أن مرض الرئيس يلائم هوى أهمّ الفاعلين السياسيين، فهو ينذر بضرورة القيام بخيارات حرجة لضمان أن يشغل مكانَه «خيرُ خلف».

سلطة عبد العزيز بوتفليقة نسبية جداً، لكن النظامَ مكتفٍ كل الاكتفاء بهذا الرئيس شبه عديم الوجود، الذي يقوم محيطه بممارسة مهامّه، وبخاصة أخيه (ومستشاره سعيد بوتفليقة). ويتم التحكيم في ما يخص خلافتَه بين أهم أقطاب النظام، وهو لا يدور دائماً في جو من الهدوء والسكينة، لكنه مطبوع بطابع التماسك، بحكم أن الحفاظَ على هذا النظام هو حجر الزاوية في عملية التفاوض الجارية بغرض التوفيق بين مصالح متباعدة. ويُعدّ قائد دائرة الاستعلام والأمن، الجنرال الراسخُ في منصبه محمد مدين («توفيق») من جهة، وقائدُ أركان الجيش، الجنرال أحمد قايد صالح من جهة أخرى، أبرزَ وجوه مجموعات المصالح الملتفة حول الأجهزة الأمنية ورجال الأعمال النافذين المنتسبين إليها.

حياة سياسية مصطنعة

لم تُحدث إقالة عبد العزيز بلخادم من كل مناصبه الرسمية (وهو من أبناء «الجهاز» أو الأقلية البيروقراطية، ولكنه رجل باهت، ما لم يمنع من الدفع به طويلا إلى مقدمة الساحة السياسية ليصبح، حتى يوم عزله، حامل أسرار عبد العزيز بوتفليقة وأحد المرشحين المحتملين لخلافته) أية هزّة في مشاعر الشعب، الذي يبدي لامبالاة تامة بالمشهد المعروض عليه، مشهدِ بيروقراطيين يحاولون ما استطاعوا لعب أدوار معارضين في مسرحية مفضوحة السيناريو. فمثلا، وعلى الرغم مما يرافقها من تطبيل إعلامي، فلا صدى لاجتماعات تنسيقية المعارضة «المجازة»، لأن أهمّ رموزها يفتقد لأدنى درجات الصدقية وأدنى أشكال الصلة بالمجتمع، وهم عاجزون عن تقديم أي مقترح لتنظيم الانتقال السياسي ـ حتى لو كان انتقالاً افتراضياً لا غير. كذلك ترتطم بالجدار نفسه من عدم الاكتراث الشعبي، محاولاتُ السلطة الشاقّةُ لفتح نقاش حول تعديل دستوري آخر.

لا يجهل الجزائريون شيئاً عن نمط اشتغال الدكتاتورية، ويعلمون علمَ اليقين بأن الانتخابات محسومةُ النتائج مسبقاً، وأن مجمل الطبقة السياسية موظفٌ لدى البوليس السياسي. ولأنهم دفعوا الثمن دماً خلال الحرب الأهلية لعقد التسعينيات، فهم يعرفون أتمّ المعرفة مسؤولية كل أعضاء هذه الطبقة السياسية في ما فُرض على البلاد من تضحيات جسام وما تعرّضت له مقدراتُها من استغلال.

وتكافح الفئاتُ الواسعة غير المستفيدة من فتات الريع ـ الذي يوزّعه النظام لاكتساب زبائن وشراء السلم الاجتماعي ـ للبقاء، في سياق يميّزه ارتفاع الأسعار ومصاعب يومية هائلة. وبحسب الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان، فهناك 24 في المئة من الجزائريين دون خط الفقر (يبلغ عدد السكان 39 مليوناً). وعلى الرغم من وجود بحبوحة مالية منقطعة النظير في تاريخ الجزائر، بفضل المحروقات، وصرف مئات مليارات الدولارات من عوائدها، إلا أن النشاط الاقتصادي رخو بشكل خطير، والبلاد ليست في عهدة إدارة حقيقية تسيّرها، ولا يوجد أي تنمية. ويمثل الاستيراد الترياق السحري في نظر النظام، العاجز عن بث الديناميكية أو خلق الطاقة الإبداعية. الجزائر هامدة في بحر الريع: كل بُناها التحتية يُنجزها الأجانب، وتسيير مرافقِها العامة، من المياه إلى المطارات مروراً بمترو العاصمة، في أيدي شركات أجنبية.

ويتخذ الهوس الاستيرادي في بعض الأحيان أشكالاً مضحكة، كقرار استيراد الخبز المجلد من الإمارات العربية المتحدة تحسباً لإغلاق المخابز شبه التام أبوابها خلال عطلة عيد الأضحى. وهكذا نفهم من جهة تضخّم الواردات المنتظم وبلوغها مستوياتٍ فادحةً، ومن جهة أخرى، الانحدار – المنتظِم والمخيف هو الآخر – للإنتاج المحلي. هذا العقم صعب التصديق هو نتيجة «افتراس» حقيقي للموارد العمومية، فالرشاوى وتضخيمُ الفواتير هي أسهل وسائل الاقتطاع من المال العام، بما يسمح بتشكيل ثروات طائلة تخبأ في الخارج.

اقتصاد موازٍ وسلطة موازية

وبمرور الزمن وتواتر عمليات النهب، تتعمق هوّة قصور القانون والدولة والإدارة. ويَرمز إلى هذا الوضع بشكل بالغ الدلالة ما تعرفه عقارات وسط العاصمة الموروثة عن الفترة الاستعمارية من تآكل، فتنهار أجزاء من واجهات العمارات وشرفاتها ما يتسبّب بشكل منتظم في إيذاء المارة. أما الأحياء الجديدة، المشيّدةُ على حوافّ المراكز الحضرية من دون أي مخطط عمراني أو بنى تحتية، فهي غيتوهات فوضوية حقيقية محفوفة بالمخاطر. وقد سمحت الهبة السماوية المتمثلة بالمحروقات بتكوّن ضواحٍ عملاقة، تتنافس بالبشاعة، وتتدهور حال بنائها، يحكمها قانون عصابات مافياوية تفرض على التجار الإتاوات وترهب السكان، بتواطؤ من السلطات المحلية التي تستعمل لمصلحتها هوامش الإجرام ـ وهي نسخة جزائرية من «البلطجية» المصرية.

وتعتمل في المجتمع، المهمَل إهمالاً كاملاً، المكتوي بنار العنف الممارَس عليه، التياراتُ المتطرفة التي تجوب أرجاء العالم الإسلامي. السلفية في أكثر تنوعاتها تزمتاً ألقت رحالَها في البلاد، مستغلّة حالة اللانظام الشاملة. وبصورة فاعلة، يقوم أئمةٌ جهلة، في أوساط مواطنين محرومين من مرجعيات ومرتكزات أخلاقية، بترجيع صدى الخطاب المتشدّد الأبوي الذي لا تَني تردّدُه القنوات الدعوية ذات المشارب الوهابية والذي لا ألوان فيه سوى الأبيض والأسود. ويحظى هؤلاء الدعاة، ما لم يعارضوا السلطة، بالقبول لدى مختلف الأجهزة البوليسية المكلّفة بتطويق المجتمع ومراقبته.

الجنرالات ورجال الأعمال

الحفاظ على النظام هو ما يشغل بال السلطة، ولا شيء سواه. فكلّ احتجاج، مِن مثل مبادرات حركة البطّالين أو النقابات المستقلة، تُخنَق في المهد أو يُبطَش بها بشراسة. صحيح أن قانون الطوارئ ألغي بعد أن ظلّ ساريا طيلة 20 سنة، لكنه استبدل بحزمة تدابير قانونية وتنظيمية هي على الأقلّ في ما بيّنه نفسه من قدرة على خنق الحريات، تدابيرَ تستهدف الإبقاءَ على الوضع القائم أياً كان ثمن ذلك اجتماعياً أو بشرياً. لا تَوافق سياسياً على شيء بين قادة البوليس السياسي وبعض جنرالات الجيش والنخب، اللهم إلا على دوام النظام بواسطة القمع والتحكم في الريع البترولي.. تحكُّم مستبدٍ لا رقيب عليه.

ولا يعرف هذا التنظيم لا الدستور ولا المؤسسات، فهو يقوم بتأبيد سلطة لارسمية لا يحاسبها أحدٌ. وتتولى الأقلية الاوليغاركية الحاكمة، ممن يتموقع أفرادها في مفترق مختلف شبكات الاستيراد (الحبوب، الأدوية، المواد الغذائية، السيارات...)، إدارة ثروات أمراء النظام من القادة الأمنيين والسياسيين، ويلعبون دور واجهة لهم لإنجاز مشترياتهم العقارية أو للتعامل مع البنوك الخاصة في الجنات الضريبية في العالم، كما يسهرون على إعادة توزيع العمولات على الشركاء الأجانب الغامضين ويتزايد أثرُهم في العلاقات غير الرسمية مع القادة الأجانب. أما علاقات الجزائر الديبلوماسية فهي الأقل أهمية في مجال علاقاتها الدولية المبنية على التعاون بين أجهزة الاستخبارات (يعتبر الجنرال توفيق أخلص «المتعاطين» مع الاستخبارات الأميركية والبريطانية)، وعلى شبكات بذل العمولات بمشاركة هيئات السلطة السياسية في دول الغرب.

موفق قات – سوريا

جمود داخلي واضطرابات إقليمية

ويساهم النمط شبه السري لاشتغال النظام في عدم شفافيته وبديم الغموض في ما يتعلق بخياراته وطبيعة تحالفاته. وقد تسبب تدهور المحيط الأمني المباشر للجزائر ـ من تدمير الدولة الليبية الى اشتعال فتيل الاضطرابات في شريط ساحل الصحراء ـ في ضغوط غربية هائلة عليها لحضّها على التدخل العسكري المباشر في ليبيا. ولكن، وعلى الرغم من نفقات تسليح بلغت مستويات خيالية (13،1 مليار دولار للعام 2015 بزيادة 10 في المئة عن 2014)، يبقى الجيش الجزائري جيش دولة من العالم الثالث ليس بمقدوره لعب دور شرطي إقليمي تابع لحلف الناتو. كما يبدو فخ الدعوات إلى التدخل في ليبيا بيّناً، لذا توخّى حكّام البلاد الحذر ـ والواقعية من مميزاتهم الحقيقية ـ ورفضوا الانزلاق في مغامرة غير مضمونة الآثار، خاصة أن الوضع الأمني الداخلي (وما يميّزه من سخط عام منتشر وصعود للمدّ «التكفيري» ومناورات مختلفة) يدعو إلى الحيطة والاحتراس.

ويسمح الإرهاب المستديم، ولكن المسيطر عليه (وهو إرهاب لا تفسير لعدم اندثاره منذ أن تحوّل إلى «بقايا إرهاب») بالإبقاء على منظومة تدابير أمنية ضخمة، لكنها في كثير من الأحيان عديمةُ الفاعلية، كما هو الحال في المنطقة القبائلية بخاصة، حيث يسعى الإرهابيون «الإسلاميون» وقطّاع الطرق إلى الحفاظ على المناخ العام كدراً متعفناً. ويغذّي إعدام متسلق الجبال الفرنسي هيرفي غورديل (بقطع رأسه على طريقة داعش)، من طرف مجموعة لم تكن معروفة حتى تلك الساعة، يغذي النقاش/الارتياب الذي بدأ في عزّ عنف التسعينيات عن الإرهاب ومكوناته وطبيعة أهدافه. فهنا لا أحد ينسى أن الجزائر كانت الميدان الرئيس لإعداد تقنيات الحرب السيكولوجية وحرب العصابات المضادة من طرف ضباط الجيش الاستعماري الفرنسي.

لا ثقة للجزائريين ـ وهم لا يزالون تحت وقع صدمة ما بلغه عنف عقد التسعينيات وبداية عقد الألفين من ذُرى رهيبةٍ (200 ألف قتيل و15 ألف مفقود) ـ لا ثقة لهم مطلقاً في الخطابات السياسية أياً كانت طبيعتُها. ولكنْ كثير منهم يؤمنون بأن الإطاحة بالنظام قد تؤدي، كما الحال في أماكن أخرى، إلى اندثار الدولة الجزائرية، وهي دولة في منتهى الهشاشة. والمثلان السوري والليبي حاضران في كل الأذهان، ما يجعل تكلفة التغيير تبدو مثبطة للهمم. كل ذلك لا يمنع أن هناك تحريفاً لقيم وأهداف ثورة الأول من تشرين الثاني/نوفمبر 1954، فالايديولوجيا الانقلابية تمجّد «الأمة» لتتمكن من احتقار «الشعب». وهذا وصل اليوم إلى منتهاه التاريخي.

عمر بن درة

اقتصادي من الجزائر

ترجمه من الفرنسية ياسين تملالي

أجيال من كرديات لا تعرفهن الكاميرات..

كاملة التي كبرت بين جحيمي الذاكرة والحياة

«وقرعان (قرآن) صدر سيدي».. لا يملك المرء أمام هذا الحلفان إلا الغفران! حتى لو كادت طفلته تكون ضحية اعتقادات مربيتها كاملة.

ببساطة كانت كاملة تعتقد أن المسيحيات فقط يمكن أن يولدن شقراوات بعيون خضراء، ولذلك ارتابت من وجود طفلة ملونة في منزل الشيخ العربي المسلم، فما كان منها إلا أن نزعت الدبوس عن فتحة ثوبها وهمّت بنقش الصليب على صدر الطفلة بغية استعادة حقها «المنتهك» في حمل هويتها، وفق تهيؤات مخيلة كاملة المثخنة بقصص ومرويات ضحايا المجازر التركية وما خلفته من نازحين ومهجرين ومفقودين وعائلات مكلومة بتغيير أسماء أولادها أو كنياتها تجنباً للانتقام، وأطفال تركوا في الطرقات وقد شارفوا على الموت.

كل القصة أن كاملة بنت «الدرباسية»، البلدة العالقة على الحدود المتشابكة بين سوريا وتركيا، لم تكن تعرف غير السكان الأصليين الفارين من مجازر بداية القرن الماضي: الكرد البيض أو السمر بعيون سوداء آسرة، وجيرانهم الأشوريين والأرمن ذوي العيون الملونة والشعر الأشقر! وربما كان اسم طفلة الشيخ المسلم «بتول ــ لقب العذراء مريم» أحد الدلائل القاطعة التي جعلت الدبوس يباشر حفر الصليب دون تردد! هكذا يحمل الكردي «جينات» الغبن والحذر والنفور من الظلم في عروقه، جنباً إلى جنب مع «جينات» النزق والميل إلى اصلاح العالم بيديه!

كانت كاملة التي لم تكمل السبعة عشر عاماً تُعامل كعانس في بلدتها المثابرة على قطف زهرات أعمار الفتيات والحاقهن بالخدمة المنزلية التي تمتد وتتوسع لتشمل خدمة الأرض وما عليها من الدواجن والمزروعات والأقارب تحت مسمى الزواج . كمراهقة فعلية وكعانس مفترضة، واظبت «كاملة» على حمل دهشتها وتمردها وصخبها الساخر وسخطها المرّ على نقصها وعوزها، لكنها أخيراً كشفت عن وجه قلبها الطيب الذي ذاب خجلاً وطلباً للمعذرة عندما سحرت الجميع برجائها المتجه إلى قلب الشيخ مباشرة: «وقرعان صدر سيدي ما كنت بدي أقتلها»!. لم تحلف بالقرآن هكذا على اطلاقه، ولم تشر بيدها إلى النسخ الوفيرة منه في منزل الشيخ، كما يحدث في ردهات محاكم الدولة «العلمانية»، فطرتها قادتها إلى الاستنجاد بالنسخة الفريدة للقرآن المحفوظة في قلب الشيخ! فكان لها الصفح، وكان للآخرين تذوق طعم قرآن الصدور التي تعرف طريقها إلى التعارف والتسامح.

فهيمة التي لم تقرأ بنلوب

امرأة بجسد طفلة يمضي إلى الهرم بسرعة وهو في أواخر الثلاثينات يحمل عبء دزينة أولاد مع بضع عشرات من أشجار الزيتون والدواجن والزوج المريض، لم يكن ينقص فهيمة ابنة «عفرين» إلا أن تسمع خبر اعتقال ابنتها «دلشان» التي خرجت من المنزل قبل شهور لتحرر كردستان مع قوات «أوجلان»، فوقعت أسيرة في سجن «دوما» للنساء قرب دمشق قبل أن تبلغ ساحة الحرب.

لو كان لطريق الشام أن ينطق لحكى عن آلاف أمهات وأهالي معتقلين قطعوه عبر سنين طويلة، والأرجح أنه يحتفظ لفهيمة بسجل خاص، وهي التي هدّ حيلها هذا الطريق، لكنه لم يقوَ على حِيَلها وخدعها البكر في صدّ غدرات الزمن ووعورة طرقه. فهيمة أم الخدود المحروقة بالشمس والشقاء، ذات اليدين الصغيرتين المكتنزتين اللتين تعززان الاعتقاد بأن زيتون عفرين الدسم، صغير الحبات، تشكل على هيئة فلاحات صغيرات مكتنزات بالنكهة والأسرار لهن روح فهيمة وهيئتها وتواضع حجمها وحضورها الصبور الخجول المبذول بسخاء. في محيط حلب الكثير من الزيتون المنسوب إلى قراه: زيتون حارم وزيتون سلقين وادلب وجسر الشغور.. وهكذا. إلا زيتون عفرين، فهو الزيتون الكردي المطلوب والمرغوب، يفاخر الحلبيون بزيتهم وزيتونهم: كردي أصلي!

إلى جانب «قطرميزات» (مرطبان) الزيتون المتنوع الخلطات التي كانت فهيمة تحضرها إلى السجن، حملت ذات مرة خلطة فريدة، كانت خلطة خيطان صوف! يصعب أن يتخيل المرء فلاحة دون أن تكتسح ذاكرته حديقة ملونة. أما مع الفلاحات الكرديات، فالحديقة تمتد وتتكاثر كمرج لا ينتهي. عجيب أمر هذا الاحتفال الحار بالألوان الواضحة القوية والاعتزاز بها: يقول الكرد هذه ألواننا، فلا يسعك إلا أن تذعن! أليسوا هم أكثر من حفظها ورعاها وتجول فيها ومعها، يلبسونها ويأكلونها وينامون عليها وتوشى بها مساندهم وفرشهم وبسطهم وسجاداتهم المعلقة على الحيطان وأواني طبخهم وفساتين رقصاتهم وحتى سراويل شبابهم.

وها هي خلطة فهيمة البهية الألوان، المكونة من خيطان بضع كنزات صوفية مهترئة تناوب عليها أولادها، نسلتها وأعادت لفها على شكل كرات صغيرة معقودة الخيطان، حيث العقدات هي الذاكرة المجسدة لمواضع الثقوب والعطب في أجساد الكنزات الفانيات، هذه الكرات المعقّدة أربكت الشرطي المسؤول عن التفتيش، فما كان منه إلا أن هجم عليها واحدة اثر أخرى ليفك طلاسمها، آخذاً بنسلها وسط احتجاج «دلشان» وشتائمها بالكردي، مأخوذاً بلعب دور المحقق العبقري في الكشف عما تهربه الأمهات داخل الكرات. اختلطت الخيوط ببعضها على أرضية ممر التفتيش، وانهمك بقية الشرطة في مناوشة «دلشان». وبعضهم كانوا يدفعون فهيمة بأيديهم خارج بوابة السجن، ما أثار قهر السجينات حتى فاضت مرارة قلوبهن فاختنقت الكلمات واحتقنت العيون مخلّفة صمتاً واجماً جلاه صوت فهيمة الذي تردّد صداه ابتسامة أشرقت على وجه «دلشان». كانت فهيمة تهدئ روع الجميع: « بينما تستعيدون فرز الخيوط ولفّها ستنقضي أيام كثيرة من سجنكم دون أن تشعروا بوطأتها». كانت فهيمة تعرف حكمة الجدة «بنلوب» دون أن تقرأها أو تسمعها: حياكة الصوف لتمرير ثقل الوقت وهمومه وليست عملاً بحد ذاته!

زكية حفيدة الزيتون

كجذع زيتونة راسخ، لم يزل جسد زكية يقاوم مرض السرطان. لكن لقاء زكية بالسرطان يعود إلى عقود سابقة، حين داهمها سرطان الاستبداد وخطف زوجها إلى المعتقل مخلفاً وراءه طفلين، وزكية الصبية الجميلة، التي كان عليها أن تحمل عواقب معارضته السلطات السورية العربية، جنباً إلى جنب مع معضلتها الأكبر: أن ترتق جرح الكرامة «القومية» وتبلسمه دون كلل، الجرح الذي تسبب به زوجها حين اختار الانتماء إلى حزب عربي معارض، «وكأن ليس لدى الكرد ما يكفي من الأحزاب ويفيض لتتسع لحضرته وأمثاله»!

كتومة، في رأسها تغلي وتصطرع مئات الأفكار والهواجس، لها جسد لا يهدأ عن السعي وراء شيء ما، تتوقف الزكية برهة كلما التقطت كلمة عربية، تريد أن تفهم كل شيء دفعة واحدة، تقرأ حركات الشفاه ولغة الإشارة، تتمعن في السلوك والطعام واللباس بنفس اللهفة التي تسعى فيها إلى زيارة زوجها ومتابعة أخبار السياسة والأحزاب وهدهدة ولديها، لا أحد يعرف متى وأين تعلمت زكية اللغة العربية التي فتحت شهيتها على تعلم كتابة الكردية والتهام كل من اللغتين التركية والانكليزية، كيف أسست بيتها الصغير وعملها وكم زرعت من غراس الحب والبهجة والعمل والحكمة. كان زمنها الذي انفتح فجأة كهاوية سحيقة، لكنها بعدالة روحها وعنادها «الكردي» استطاعت أن تلاعب أكثر من هاوية، أن تركض على حوافها دون أن تقع. بعد خروج زوجها من السجن ومحاولتهما الهرب من سورية عبر تركيا، اصطادهما الأمن التركي ووضعهما (مع أطفالهما) في مخيم لسنوات أربع كان لهما منها ما يقصم ظهر الصبر. هي الآن في (كندا) تصارع المرض جولة بعد أخرى، لا يشغل بالها غير حلمها بالثورة وبسورية حرة: بين شوطي علاج تصرخ في المظاهرات والاعتصامات، وحالما تستفيق من التخدير تسأل عن أخبار حمص والغوطة كما عن أخبار عامودا وكوباني، رافعة شارة النصر في وجه كل السرطانات. كيف لا؟ وهي أم «هيفي» (الأمل) ابنتها البكر، اللقب الذي تمسكت به رغم انجابها لصبيين آخريين، لكنها مع زوجها حافظا على لقب أم هيفي وأبو هيفي على غير عادة كل من حولهم كرداً وعرباً.

الكرديات والقرابين

قربانك! بهذا السخاء والافتداء تمنح الكردية نفسها بالتساوي ودون تمييز، للرجل أباً وزوجاً وأخاً، لخرافها وشجراتها وأطفالها ودجاجاتها وصباحاتها، وبهذا النداء الخاشع: قربانك أنا يا الله، تبدأ رحلة مناجاتها اليومية (لله) حبيبها وصديقها ومغيثها، الذي لا يتوقف عن امتحان صبرها وايمانها وعنادها، دون أن تجرؤ على مفاتحته بشأن الحلم الكبير: كم من القرابين يلزم يا الله لينعم الكرد بقسط من وطن؟!

الكردية التي خبرت جور الأوطان وعسفها، تدرك أن كردستان في الحلم أشهى، وربما لهذا السبب تمضي مدافعة عن حياتها البائسة وحلمها النضر بالعناد نفسه والدأب ذاته غير عابئة بالكاميرات المهووسة بصور الموت وصناعة الأوهام.

ضحى عاشور

كاتبة من سوريا

نحتفي بالحياة وبالفرح

.. وكلما ازداد الوضع قتامة، نزيد! ليس عناداً أخرق من قبيل تسجيل موقف، بل كقناعة عميقة لدينا بأن الحياة هي حق الإنسان الأول، كما تقول الأديان السماوية والمعتقدات كافة، وكل الفلسفات. وأن على الحياة أن تكون حلوة وكريمة. ومن دون ذلك فلا قيمة لشيء: لا الأفكار ولا الإيمان ولا الثقافة ولا التطور. خذوا ذلك من الزاوية التي تريدون، تجدونه صحيحاً، وتجدون أن نقيضه أو غيابه هو المشكلة. قلنا في «السفير العربي» إننا ندرك حجم الخراب الذي يحيط بمجتمعاتنا، وأن مهمتنا هي البحث وسط الخراب عمّا ليس خراباً والتمسك به وإبرازه. وأردنا ان نثبت وجود ما ليس خراباً، والفائدة من التمسك به وإبرازه. وإلّا أطبق الخراب وانتهى الرجاء... وفيما تستبد الدماء بأمتنا حتى تكاد تغرقها، وإهراقها بات ليس غزيراً فحسب بل يسيراً مألوفاً، تُقْدم عليه جهات محلية وخارجية، نذهب نحن إلى كشف ذلك البؤس وأسبابه بدون محاباة لأحد، ومع العلم بالتعقيد الهائل في المشهد الذي لا يصلح اختزاله إلى أبيض وأسود، ولا مقاربته بسذاجة. نحن ضد داعش، وضد الأنظمة المستبدة (كلها!)، وضد الضربات الأميركية، وضد الكولونيالية القديمة والجديدة، وضد إسرائيل.. طهرانيون؟ أبداً! بل متمسكون بصورة المستقبل كما سيكون، بلا مساومات. اقرأوا في هذا العدد النصوص العديدة المميزة، المكتوبة بأقلام مستلة من قلوب وعقول نساء وتجاربهن.. تدركون مبلغ طموحنا، ومقاومتنا!

نهلة الشهال

العربي السفير

ملف

62 عاماً هي سن التقاعد الجديد في تونس بدءاً من العام 2015، إذ تنوي الحكومة التونسية إضافة سنتين على المعمول به حالياً، لخفض عجز الصناديق الإجتماعية بحسب ما أعلن وزير الإقتصاد، متذرعاً بأن تونس من الدول القليلة في العالم التي لا تزال سن التقاعد فيها 60 عاماً.

غزّة و«الفلسطينيون الجدد»: لا نريد «رام الله» أخرى هنا

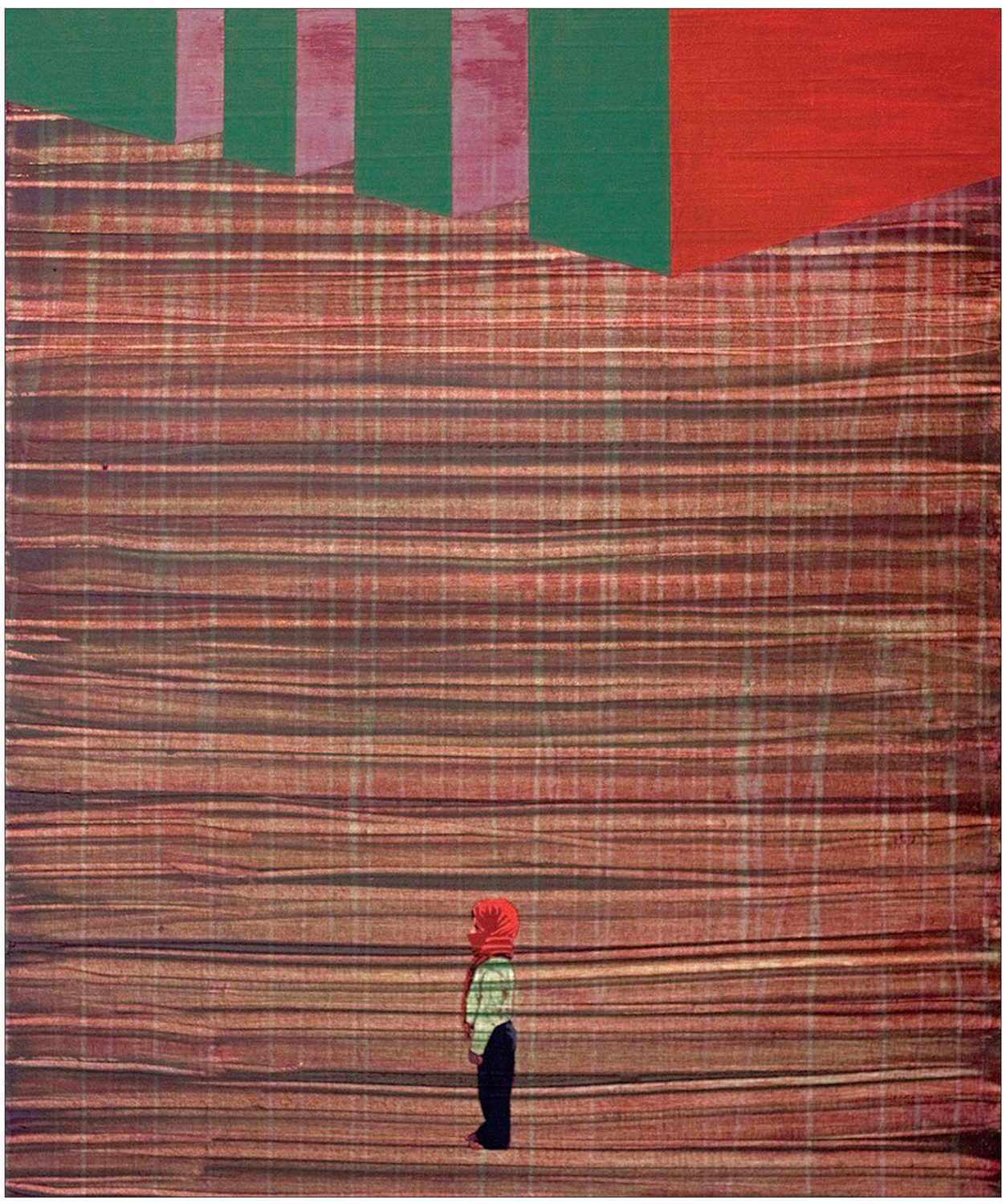

هاني زعرب / فلسطين

«ما حققناه، وأقول هذا تواضعًا، هو أننا خلقنا رجالاً جددا»: الجنرال كيث دايتون، مدير المركز الأمني الأميركي في الضفّة الغربيّة، في خطابه أمام معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى.

قدّمت الحكومة الفلسطينيّة إلى مؤتمر إعادة إعمار غزّة الأخير في القاهرة خطّة متعددة المراحل يتطلب تنفيذها جمع ما لا يقلّ عن أربعة مليارات دولار. ولقد نجح مؤتمر القاهرة بشكل مبدئيّ، بحسب تصريحات وزير الخارجيّة النرويجي، في جمع 5.4 مليارات دولار ستتوزّع بين جهود الإغاثة المباشرة لقطاع غزّة، ودعم ميزانيّة السلطة الفلسطينيّة.

لا يختلف مؤتمر الإعمار الأخير هذا عن مؤتمرات سابقة بسبب ضخامة المبالغ المطروحة على طاولته فحسب، بل لرغبة المانحين في أن تكون للسياسة حصّة أكبر في جدول أعماله. لقد ضاق المانحون الأوروبيّون ذرعاً بمنح أموال للسلطة الفلسطينيّة من أجل «التنمية» والإعمار من دون تحقيق تقدّم ملموس في «عمليّة السلام» ما يضمن ــ بحسب الفهم الأوروبي – ألا تعيد إسرائيل قصف كلّ ما يعمّر.

كما أنّ هذا المؤتمر يتميّز بتوقيته الذي يجيء بعد زيارة «نوعيّة» قامت بها حكومة السلطة لقطاع غزّة وتصريحات مطمئنة أدلى بها رئيس الوزراء رامي الحمدلله من فوق الركام متوّجاً سلسلة من التصريحات التي صدرت حول استلام السلطة الفلسطينيّة معابر غزّة والشروع في «تسهيلات» لتنقل الغزيين، والتي كان من بينها منح مئات التصاريح لمن تفوق أعمارهم الستين عاماً للوصول إلى المسجد الأقصى والصلاة فيه.

إعادة إدخال غزّة في اللعبة

تربّع الفلسطينيّون طويلاً على عرش المتلقي الأكبر لأموال المانحين الدوليين، متفوقين في ذلك على الكونغو ونيكاراغوا. وصلت قيمة المساعدات الإنسانيّة الدوليّة المنوحة للسلطة الفلسطينيّة في الفترة 2001–2010 إلى حوالي 6.4 مليارات دولار، ما يضعها في المركز الثاني بعد السودان الذي حصل في الفترة نفسها على أكثر من تسعة مليارات. ولولا زلزال هايتي المدمّر في العام 2010 لكان الفلسطينيون المتلقين الرقم واحدا لأموال المانحين في العام نفسه لجهة نصيب الفرد، بواقع 319$ للفرد الواحد.

أغلقت عن غزّة «حنفيّة الأموال» هذه بعد حسم حماس العسكريّ في عام 2007، في حين ظلّت مفتوحة على الغارب في الضفة الغربيّة التي بدت حسنة المظهر والسلوك، وقدّمت دلالات مرونة سمحت بتحقيق عدّة مشاريع كبرى كان أهمّها نزع السلاح، إعادة تصميم الأجهزة الأمنيّة الفلسطينيّة التي قادها الجنرال الأميركي كيث دايتون، ومضاعفة أعداد ونفوذ المنظمات غير الحكوميّة والوكالة الأميركيّة للتنميّة الدوليّة USAID.

ومع هذا الحراك الدوليّ والمحليّ لإعادة إدخال غزّة في اللعبة، يفرض الواقع المركّب في غزّة، والدمار الضخم الذي أحدثه العدوان الإسرائيليّ وسنوات الحصار الطويلة، ضرورة اتخاذ موقف مركّب لا يقف عند حدود الإدانة والشجب، بل يدخل في معترك توفير البدائل وتقييم نقاط القوّة الداخليّة في القطاع واستقراء ما اذا كانت إعادة إدخال غزّة في اللعبة ستمنحها، وهي الإقليم المكتظّ والمسلّح عن آخره، القدرة على إلحاق ضرر أكبر باللعبة من داخلها وبلاعبيها الرئيسيين.

غياب الإعمار المقاوم؟

لا تستطيع حركة حماس أن تحقق إعماراً مقاوماً في قطاع غزّة مثلما فعل حزب الله في جنوب لبنان. ولهذا أسبابه الموضوعيّة التي تدخل فيها جغرافيا غزّة وطبيعة النشاطات الاقتصاديّة فيها، وموقع حماس السياسيّ بعد الثورة السوريّة، وأزمتها الماليّة الخانقة، وهي الأزمة التي دفعت، منذ البداية، للجنوح نحو السلم مع حركة فتح وسلطة رام الله.

كما فرض العدوان الأخير على غزّة واقعاً جديداً لا تستطيع معه حملات الإعمار شبه الذاتيّ المحدودة، كتلك التي حدثت بعد عدوان الرصاص المصبوب، أن تلبي الحدّ الأدنى من المتطلبات الاقتصاديّة والاغاثيّة لقرابة مليوني فلسطيني يسكنون قطاع غزّة، ناهيك بتحقيق أي «تنمية» تحت الاحتلال، كتلك القائمة في الضفّة الغربيّة.

لكن العجز عن تحقيق إعمار مقاوم لا يعني بالضرورة العجز عن مقاومة الإعمار الدوليّ الذي سيقوده «الفلسطينيّون الجدد» القادمون إلى غزّة، وقصّ أجنحته. تنبع إمكانيّة مقاومة الإعمار هذه من عدّة روافد اجتماعيّة وسياسيّة وعسكريّة أهمّها أنّ الجهات الأكثر تغلغلاً في النسيج الاجتماعيّ الغزّي، والأكثر قدرة على إنتاج العنف القهريّ داخلياً، هي الأجنحة المسلّحة للفصائل الفلسطينيّة، لا السلطة الفلسطينيّة العائدة بخجل.

ولا تستوي مقاومة الإعمار الدوليّ هذه إلا بالكشف عن الروابط والنقاط التي تتقاطع فيها مصلحة إسرائيل واقتصادها مع هذه الجهود الدوليّة والمليارات الموعودة، ومحاربة هذه الدائرة المفرّغة حيث تدمّر إسرائيل بيوت الفلسطينيين ومدارسهم، ثمّ تستفيد من استيراد مواد البناء عبر «أراضيها» لإعادة البناء، ثمّ تسمح للعمال الفلسطينيين ــ سكان البيوت المدمرة – كما صرح حسين الشيخ رئيس هيئة الشؤون المدنيّة، بالدخول للعمل في إسرائيل ليستفيد الاقتصاد الإسرائيلي ويبني المقتولون بيوتَ القَتلة.

الحدّ من شرورهم

يقول عالم الاجتماع الفرنسيّ بيير بورديو انّ كلّ سلطة تدين جزئياً في وجودها وبقائها للجهل ببعض آليات عملها. ومن هنا تنبع أهميّة الكشف عن آليات وسياسات جهود إعادة الإعمار الجارية على قدم وساق، وفهم ارتباطها الوثيق بسياسات وآليّات الاضطهاد والاحتواء والتحكم، وضرورة الاستعداد لمرحلة قادمة تكون فيها غزّة على موعد مع الفلسطينيين الجدد.

وإن كانت غزّة، بعد حصارها ودمارها الواسع، غير قادرة على غلق الأبواب كلياً في وجه الفلسطينيين الجدد، فإنّ بإمكانها، وهي البيئة الحاضنة للمقاومة المسلحة الفلسطينيّة ومكان انكشاف ماكينة القتل التي اسمها «إسرائيل» على حقيقتها المجرّدة، بإمكانها أن تحدّ من شرور الفلسطينيين الجدد، وشرور رؤسائهم في تلّ أبيب، بل أن تقلب السحر على الساحر.

ولغزّة في هذا أوراق قوّة جاهزة وأخرى مكتسبة. إعادة الربط بمنظومة السلطة الفلسطينيّة سيحقق لغزّة، سياسياً، قدرة أكبر على إلحاق الضرر بمشروع أوسلو من الداخل. كما سيوفّر تخفيف الحصار، أو إزالته، وهي الشروط اللازمة للشروع في تطوير وتجهيز البنية التحتيّة للمقاومة وأدواتها الهجوميّة بوتيرة أسرع من سنوات الحصار.

إنّ كلّ «مخاطر» الإعمار والتسهيلات والتنمية الاقتصاديّة التي يتوعد بها الفلسطينيون الجدد غزّة يمكن لها أن تكون ثنائيّة الغاية والموئل. السماح للعمال الفلسطينيين من غزة بالعمل في إسرائيل، مثلاً، هو إعادة فتح خطيرة لباب قمع واستلاب مغلق منذ سنوات، لكن ثمّة فيه، إنْ تحقق، مركبات يمكن استثمارها لإلحاق الضرر بالاخطبوط الإسرائيليّ.

وأياً تكن طبيعة التطورات في مستقبل غزّة القريب، وبغضّ النظر عن وتيرة جهود الإغاثة وإعادة الإعمار وطبيعة الإجراءات الاحترازيّة التي ستطبقها الأمم المتحدة لضمان عدم وصول الأموال «إلى الأيدي الخطأ»، فإنّ في غزّة، بشكل مبدئيّ، ضمانة تشي ببعض الطمأنينة المحدودة. ومهما حدث، فإنّ غزة، أقلّه في المستقبل القريب، لن تكون مصنعاً للفلسطينيين الجدد.

محمود عمر

كاتب من فلسطين

مواقع / إصدارات

«السعودي العلمي» للترجمة

خلال سنتين فقط، تمكن القيمون على مشروع «السعودي العلمي» للترجمة، من جذب أكثر من 100 ألف متابع على فايسبوك، وأكثر من 20 ألف متابع على تويتر. ارتفاع عدد المتابعين حتّم على المشروع الذي بدأ بصفحة فايسبوكية فقط، أخذ الخطوة الثانية بإطلاق موقع رسمي على الانترنت. خطوة واكبها حوالي 40 متطوعا انضموا تباعاً لإنجاح هذه التجربة.

يهتم «السعودي العلمي» بترجمة ونشر المواد المتعلقة بالعلوم الطبيعية فقط. يبتعد قدر المستطاع عن السياسة والعلوم الاجتماعية عموماً. قد ينظر إلى ذلك كمحاولة للابتعاد عن «المشاكل». لكن من خلال جولة سريعة على بعض المواد المنشورة، يمكن ملاحظة أنه وعلى الرغم من الطابع العلمي للمواد، إلا أن عدداً كبيراً منها يجنح نحو إثارة مفاهيم تحمل أبعاداً اجتماعية ودينية، تعتبر أحياناً من المحرمات في مجتمعاتنا العربية وفي السعودية تحديداً.

مثلاً المادة بعنوان «نشوء الحياة: بين العلم والمعجزات» تحاول تناول مسألة تشكل الكون ومقاربته من ناحية علمية بحتة، وعدم الركون إلى التفسير «الإلهي» الأحد، بل محاولة لإيجاد تفسيرات علمية ومنطقية لكل ما يصنف في خانة المعجزات. مادة أخرى بعنوان «الاكتئاب من منظور علمي»، يشرح المسببات العضوية لهذا المرض، وكيفية معالجته طبياً. وتكسب مادة من هذا النوع أهمية مضافة، في الوقت الذي تضع إحدى المستشفيات النفسية في المملكة، بمناسبة العيد الوطني في السعودية، لافتات على مداخلها وترفع شعار «استقرارك النفسي في ولائك لوطنك». ينشر موقع «العلمي السعودي» سيرة مفصلة لتشارلز داروين ونظرية التطور، تصطدم مع الكثير من التفسيرات الدينية للنشوء وللطبيعة والحياة. يفرد الموقع مساحة خاصة لإبراز أهم العلماء السعوديين وانجازاتهم في كافة المجالات، كحياة سندي وهي عالمة كيمياء وتقنية حيوية، وغادة المطيري وهي باحثة في الكيمياء والصيدلة وتكنولوجيا الـ«نانو» او متناهي الصغر.

من المقالات والدراسات المترجمة والمنشورة على الموقع، دراسة بعنوان «النمو الاقتصادي يتسبب في انقراض اللغات» تتناول تأثير النمو الاقتصادي على السواء في الدول الفقيرة أو المتقدمة، وكيف يساهم اتساع أسواق العمل ومجالات الاستثمارات، في مناطق سكن مجتمعات تملك لغتها الخاصة، بتقليص استخدام اللغة الأصلية تدريجياً، بفعل ضرورة التأقلم مع النمط الاقتصادي المستجد والتفاعل معه بلغته «المستوردة». دراسة أخرى بعنوان «المساواة العددية قد لا تعني المساواة بين الجنسين» تشرح كيف أن القوانين التي تحاول الحد من التمييز بين الرجال والنساء في أسواق العمل عبر فرض نسب متساوية، لا تؤدي بالضرورة إلى إلغاء هذا التمييز، نظراً لتوفر عوامل أخرى أساسها ثقافي واجتماعي تلعب دوراً مهماً في تحديد وجهات واختصاصات الإناث الجامعية وتوفر لهن أجواء أكثر ملائمة ومرحبة، مما يعرض عليهن في اختصاصات ينظر لها بأنها للذكور.

مشروع «السعودي العلمي» يعكس جرأة واضحة، قد تتخطى حدود الترجمات العلمية البحتة.

http://www.scientificsaudi.com

فكرة

نمر النمر أكثر من «رجل دين شيعي»

الشيخ المعارض نمر النمر كرر على المنابر ضرورة الالتزام بسلمية التظاهر، وشدّد على نزع أي بُعدٍ مذهبي عن المطالب المحقة لسكان المناطق الشرقية في السعودية، وعلى ضرورة إعطائهم بعضاً من حقوقهم. ولم يتردد يوماً في القول بأن الظلم هو نفسه سواء مورس من قبل الشيعة أو السنة، ومن ناصر ظالماً فما هو إلا بظالم، ولعل خطبته الشهيرة الذي يضع فيها آل سعود وآل خليفة وآل الأسد ومن على شاكلتهم في الخانة نفسها أكبر مثال على ذلك.

كل ذلك لم ينفع. فبعد اعتقاله منذ سنتين وبعد إطلاق النار عليه (مما تسبب له بإعاقة دائمة في قدمه)، واستمرار محاكمته طوال سنتين، اتهم النمر بتهمتين مفاجئتين: التعرض لقوى الأمن السعودي، والدعوة إلى التظاهر، وحكم عليه بالإعدام تعذيرا.

لكن النقاش هنا لا يخص ظلم الحكم الصادر بحقه، أو العقلية القمعية التي تدار بها السعودية، بل يركز على كيفية التعاطي مع الحالة التي يشكلها النمر نفسه، والتي شاءت الظروف أن يكون شيخاً وشيعياً.

صحيح أن هناك ما يكفي من أسباب لطبع الحراك في المناطق الشرقية من السعودية بطابع مذهبي، أسباب موضوعية تتعلق بالتوزع الديموغرافي لسكان المملكة، وأخرى غير موضوعية ترتبط برغبة السلطة في تكريس «فزاعة» مذهبية في طرف البلاد للتخويف أو لكسب قلوب سكان المملكة ذات الغالبية السنية. وهناك الاستقطاب السعودي الإيراني الذي بات يضاف الى كل الوجبات.. لكن النمر ليس شيخاً فقط وهو ليس شيعياً بالضرورة، وإن كانت العمامة هي أبرز ما يمكن ملاحظته على ذلك الجسد النحيل.

وإذ استطاعت السلطة السعودية تعليب قضية المناطق الشرقية ضمن إطار كونها مؤامرة شيعية وإيرانية بالتحديد (وصلت الشائعات التي روجت لها وسائل الإعلام بأن النمر كان يطالب بولاية الفقيه، وهي كاذبة)، فالأصوات المتضامنة مع النمر والمعارضة للحكم، لم تفعل سوى المساهمة في ترسيخ هذه النظرية. غرقت التحليلات في قراءة «البعد الحقيقي» لقرار الإعدام، بوصفه محاولة سعودية للضغط على إيران. وهذه نفسها سارعت الى التنديد بالحكم، واعتبرته تصعيداً خطيراً من قبل المملكة، وحذرت من تداعياته على لسان أحد المراجع الدينية.

وطغت قضية الحكم بإعدام النمر على كل الاعتقالات والقرارات المشابهة التي تطال عددا كبيرا من الناشطين والمناضلين في السعودية، كأعضاء جمعية «حسم» الحقوقية ـ أمثال سليمان الرشودي (80 عاماً) وعبد الله الحامد (63 عاماً)، الذين لا يشاركون النمر في انتمائه المذهبي، وتجرأوا أيضاً على مطالبة الملك عبد الله بن عبد العزيز بتشكيل برلمان منتخب بصلاحيات لمساءلة المسؤولين، فصدر بحقهما (اضافة الى 6 أعضاء آخرين) أحكام تتراوح بين أربع سنوات الى 11 سنة (تهمة تعني الإعدام للرشودي والحامد نظراً إلى كبر سنهما). وكل ما يحصل عليه هؤلاء هو ادانات خجولة من بعض المنظمات الدولية، سرعان ما تتحول الى بيانات متكررة روتينية، من دون «شرف» إدخالهم في الصراعات الكبرى وربط اعتقالهم وتعذيبهم بمناكفات النفوذ بين الدول المتصارعة في المنطقة.

تجرأ النمر على اعلان معارضته لاستئثار آل سعود بالسلطة منذ تأسيس البلاد. وعلى الرغم من أن الشيخ لا يعتد بعمامته لتبرير مطالباته، فقد اختصرت صفته الدينية القضية برمتها، ونزعت عنه صفة المطالب بحقوق طبيعية، لتصبح حقوقا مذهبية، وحصر خبر الحكم بالإعدام عليه بصيغة: «الشيخ الشيعي السعودي نمر النمر»...

آدم شمس الدين

عن الحب والرعب وجواسيس الشّر

مطلوب القبض على الحب! صار الحب هو المجرم الوحيد! يؤلفونه للأفلام والروايات، توليفة لا يعرفونها ولا يعترفون بها. بعضهم يقول: أنا لا أومن بالحب، آخرون يستهينون بكل خفقة في قلب عاشق.

هكذا أصبح الحب عارا نتنكر له ونخبئه إن أصابنا، كي لا نتحول هدفا لجواسيس الشر. الإسرائيلي يطلق الرصاص على المصلين في الأقصى بإيعاز من أعداء الحب. الأمريكي أباد الهنود الحمر الذين لم يكونوا سوى أطفال (بحسب تعبير لاس كاساس)، من أجل الذهب الأصفر. العالم أباد العراق مهد الحضارات ومتحف كنوز بابل، من أجل الذهب الأسود. ماذا أيضا عن الذين يبيدون ملايين الفقراء التعساء حول العالم دون ذنب؟ هل هي رغبة الذئاب في التهام «اللحم الأحمر»؟!

كل الحكاية بدأت عندما رفضنا يد الحب، هكذا بدأت الحرب على الحياة.

نستهين بمن يهدي وردة، ونسخر ممن يرسم قلبه لحبيبته، ونحتقر من يشعر بالسعادة. نقول عنهم باحتقار: «رومانسيين». نسينا أن أجمل الناس كانوا عشاقا، ومن العشق تركوا لنا إرثا ندهسه كل صباح تحت أقدام الكراهية: لوركا.. نيرودا.. درويش.. نزار.. بيكاسو ..تاركوفسكي.. فلليني.. روميو.. عنتر.. جميل.. عبلة.. بثينة.. جولييت.. وأنا.

* * *

انقسم البشر بين خائف وزارع للخوف. بين قاتل وضحية. سألت سوريا لاجئا عن الخوف، فقال:« التقيته مرة على حاجز عندما أمسك الجندي بهويتي وهاتفه، ثم وضع هويتي في جيبه وامسك الهاتف، ثم أدرك أنه أخطأ، فمد يده إلى جيبه وأخرج الهوية. في هذه اللحظات الخاطفة، صعدت روحي إلى السماء وأنا وراءها، ميتا لا محالة، ثم عادت وحطت ووراءها جسمي الذي ارتضّت عظامه من هول الصدمة مرة أخرى مع الأرض التي اكتشفت وجودها لأول مرة».

وقال لي فلسطيني عن خوفه: «عندما وضعوا خصيتيّ في جرّار وأغلقوه بعنف، ألم فظيع وتهديد دائم بعاهة مستديمة، ما زلت أخاف من أي شيء يغلق».

وقال عراقي: «منذ أن وضع احدهم السيف على رقبتي من الخلف، أشعر بجرح غائر».

وقالت امرأة: «عندما نال مني قريبي الذي وثقت به. نذل، لم يجرؤ إلا على من منحته ثقتها».

ضاع الكل في حاضر بائس ومستقبل معتم وأسئلة بلا إجابات: ماذا يعني أن أمريكا وراء «داعش»؟ وماذا يعني ستة ملاين سوري لجأوا إلى دول الجوار؟ وماذا يعني عداء الكردي لصلاح الدين ابن جلدته، لمجرد أنه بطل قومي عند العرب؟ وماذا عن اللبناني الذي يبحث عن فينيقيته؟ والمصري عن فرعونيته؟

* * *

محكمة...

ارتجفت الجدران من صوت العدالة في المحاكم الدولية، وغصت المطارات بحاشية هذا الزعيم وذاك الملك. منعت بوابات الأمم المتحدة الحديدية اندفاع المظاهرات المغلوبة على أمرها.

صرحت المنظمة هذه ونددت تلك ولم يسقط أي قناع. كل مصانع العولمة لم تعد تكفي لنسج بطانيات لمنظمات اللاجئين، ولم تعد المزارع تفي بغرض الجياع كما تقول منظمة الغذاء، لبس الأطفال سراويل الرجال وحملوا البنادق الثقيلة على أكتافهم الهشة، أو ظلوا بعورات مستباحة مقابل رغيف لجميع افراد العائلة يأكلونه على استحياء في عتمة المساء. أما النساء فقد تولت ادارة الـ (UN women) إيداعهن في سجونها التي تسميها «بيوت آمنة» بهدف حمايتهن من حروبٍ، رجالُها فقراء، ويشعل نارها رجال أغنياء.

* * *

انتحار جماعي في حروب مدمرة، هذا هو مشهد العالم.

إن لم يقتل أحد منهم الآخر برصاصة، وضع له السم في كلمة أو في جملة أو ألحق به العار أو اخترع عنه كذبة تبقيه ذليلا ككلب وحيد. ماذا يفعل العشاق ومن تبقى من «أهل الحب» على هذه الغابة التي اسمها الأرض؟ يختبئون في غرف مهجورة، أو يلتحقون بطوابير النفوس التي تعفنت عندما قتلت الحب؟ «لا يحق لكِ رفع شعار لا نعرفه»، قال لي أحدهم. «لماذا»؟ سألتُ بدهشة.. قال:«هذا يحق فقط لمن مات». كان القائل هو المسؤول في (وكالة) ثقافية شعارها الإبداع والحب والجمال!

وآه يا قيس.

آه يا ليلى.

امتياز دياب

كاتبة من فلسطين

العربي السفير

23 تشرين الأول 2014 ـ العدد 12904
Thursday October 23, 2014

قضية

13 مليار دولار هي قيمة العجز المالي الذي وصلت إليه ليبيا خلال 9 اشهر من العام 2014، بعد أن بلغ الإنفاق 32.6 مليار دولار في حين بلغت إيرادات النفط حتى نهاية أيلول/ سبتمبر 9.5 مليارات دولار، بحسب ما صرح البنك المركزي الليبي الذي يعتزم طرح أذون خزانة لسد عجز الموازنة.

رهانات الانتخابات التشريعيّة في تونس

يتوجّه أكثر من خمسة ملايين ناخب تونسي يوم 26 تشرين الأوّل/أكتوبر الجاري إلى صناديق الاقتراع لاختيار ممثّليهم في مجلس نوّاب الشعب. ولئن كانت هذه الانتخابات وليدة توافق أفضى إليه الحوار الوطني للخروج من الأزمة السياسيّة التّي أعقبت اغتيال النّائب بالمجلس التّأسيسي محمّد البراهمي في تموز/يوليو 2013، فإنّها تندرج في سياق سياسي عامّ يتّسم باحتدام الاستقطاب الثنائي بين حركة النهضة الإسلاميّة، وحركة «نداء تونس» التّي أعادت تجميع أجزاء واسعة من شبكات النظام القديم. والاستقطاب الذّي تشكّل في الشارع مرشّح لأن يترسّخ في صناديق الاقتراع، ممّا سينعكس سلباً على التوافق الذّي توصّلت إليه مختلف الأحزاب السياسيّة. وتبدو مرحلة ما بعد الإعلان عن النتائج على قدر كبير من الأهميّة لأنّها ستُفضي حتماً إلى تقديم ميزان قوى قد يُذكي الصراع بين مختلف الأطراف واضعاً الانتقال الديموقراطي على المحكّ.

هشاشة التوافق وحدّة الاستقطاب

يمثل انعقاد الانتخابات قبل نهاية هذا العام آخر مراحل خارطة الطريق التّي اتفق عليها الفرقاء السياسيّون. إلا أن هذا التوافق يتّسم بالهشاشة، خصوصاً أنّه لم يبتّ بالآليّات والقواعد التّي ستُدار على أساسها المرحلة الانتقاليّة المقبلة، مكتفياً بالتعجيل بإنهاء المرحلة السابقة. والواقع أنّ التوافق كان نتيجة لعجز مختلف الأطراف عن حسم صراع دارت رحاه في الشّارع بين حركة النهضة المتمسّكة بالشرعيّة الانتخابيّة ومعارضيها الذّين سعوا لنسف المسار الانتقالي من خلال المطالبة بإسقاط المجلس الوطني التأسيسي. ولم تعد حركة النهضة قادرة على مواصلة حكم البلد في ظلّ تدهور الوضع الاقتصادي والأمني وتراجع دعم المؤسّسات الماليّة العالميّة المطالبة بضمان حدّ أدنى من الاستقرار السياسي، بالإضافة طبعاً إلى تحوّل الوضع الإقليمي بعد الانقلاب في مصر. خوف النهضة من العزلة قابله عجز معارضيها عن إسقاطها في الشّارع. «توازن الضعف» هذا جعل من التوافق على الاحتكام للصندوق حلاً يضمن للإسلاميين مواصلة تطبيع وجودهم كقوّة سياسيّة مراهنة على حكم البلد، وللأحزاب المنبثقة عن النظام القديم إعادة إدماجهم في المشهد من خلال التخلّي عن قانون العزل السياسي.

ساهم انسحاب حركة النهضة من الحكم في خفض منسوب الاحتقان في البلاد، وفسح لها المجال لإعادة تنظيم صفوفها والاستعداد للاستحقاق الانتخابي، خصوصاً أنّ دفاعها عن عقد الانتخابات التشريعيّة قبل الرئاسيّة والتزامها بعدم تقديم مرشّح من صفوفها لهذه الأخيرة قد جعلها في منأى عن سهام جزء هامّ من معارضيها، الذي راحوا يطعنون في دعمها لهم في الرئاسيّات. في المقابل، تُمثّل هذه الانتخابات اختباراً هامّاً للأحزاب الدستوريّة لمعرفة أوزانها في صناديق الاقتراع. ذلك أنّ شبكات الحزب الحاكم السّابق، التجمّع الدستوري الديموقراطي، قد انفرط عقدها وتفرّقت بين مستقيل من العمل السياسي أو باحث عن تموقع انتهازي في مختلف الأحزاب (بما فيها حركة النهضة الإسلاميّة) أو عاجز عن توحيد الحركة الدستوريّة التّي قسّمتها الولاءات الجهويّة والطموحات الشخصيّة لقادتها. تبدو حركة «نداء تونس» المدعومة من دوائر نافذة في مجال الأعمال الأقدر على الاستقطاب، خصوصاً أنّها خليط من شبكات مرتبطة بالنظام السّابق ومن نُخب حداثيّة رافضة لمشروع الإسلام السياسي، وكذلك ـ وهذا الأهمّ ـ من جزء غير يسير من الطبقات الوسطى والشعبيّة الغاضبة من الأداء الضعيف لحكومات الترويكا (التي أقامتها حركة النهضة وحلفاؤها) الذّي أدّى إلى تردّي الأوضاع المعيشية والأمنيّة. بين هذا وذاك، تقف قُوى سياسيّة تبحث عن كسر هذا الاستقطاب الثنائي وإحداث اختراقات في عدد من الدوائر قد تمكّنها من تكوين كتلة وازنة في مجلس النوّاب المقبل.

حسابات الصندوق ومنطق السياسة

من المرجّح ألا يحصُد أيّ حزب الأغلبيّة في المجلس المقبل، خصوصاً أنّ نظام الاقتراع يضمن تمثيل عدد كبير من الأحزاب والتيّارات، مع إمكانيّة تشتيت أصوات النّاخبين. بالتّالي فإنّ الفترة التّي ستلي الإعلان عن النتائج ستشهد تفاوض القوى السياسيّة الفائزة لتشكيل حكومة قادرة على نيل ثقة المجلس. في هذا الإطار، قرّرت حركة النهضة استباق النتائج والدعوة إلى تشكيل حكومة وحدة وطنيّة يفتح باب المشاركة فيها للأحزاب المحسوبة على النظام السّابق. وعلى الرّغم من التعليقات التّي رأت في هذا المقترح مجرّد مناورة، فإنّها تعكس في الواقع قراءة براغماتيّة وواقعيّة للمشهد السياسي التونسي. فلقد أثبتت تجربة الترويكا للإسلاميين أنّ الاستقواء بالشرعيّة الانتخابيّة لا يعني بالضرورة القدرة على حكم البلد، وأنّ الاستقرار السياسي لا يتقرّر وفق منطق حسابي، بقدر ما يضمنه توافق واسع يأخذ بالاعتبار القوى السياسيّة والأطراف الاجتماعية الفاعلة والمؤثّرة، كاتّحاد الشغل واتّحاد الصناعة والتجارة على حدّ سواء. كما يلعب الوضع الإقليمي الرّافض لصعود الإخوان دوراً أساسيّاً في كبح جماح «النهضة» التّي تعلم جيّداً أنّ جيران تونس لن ينظروا بعين الرضا لهيمنتها على الحكم، خصوصاً أنّ المرحلة المقبلة ستشهد إعادة صياغة النظام السياسي عبر انتخاب السلطات المحليّة والجهويّة، بما تحمله من فُرص سيطرة الإسلاميين على مفاصل الدولة. بالمقابل، فإنّ فوز حركة «نداء تونس» في الانتخابات التشريعيّة قد يُمثّل انقلاباً على المسار الانتقالي عبر صناديق الاقتراع، لأنّه سيُمهّد الأرضيّة لتكوين ائتلاف واسع يعزل الإسلاميين.

بالمحصّلة، فإنّه من المهمّ أن تتولّى شؤون البلد حكومة وحدة وطنيّة بعيداً عن منطق الأغلبية النسبيّة، لأنّ تجربة الترويكا أثبتت أنّ الديموقراطيّة لا تُبنى في المراحل الانتقاليّة بآليّات الصراع والمغالبة بين حكومة معتدّة بشرعيّتها الانتخابيّة ومعارضة مستعدّة للالتجاء للشارع لتغيير موازين القوى الناتجة عن صناديق الاقتراع. التوافق على حكومة وحدة وطنيّة مهم أيضاً لجهة قطع الطريق على الصفقات الثنائيّة بين طرفي الاستقطاب، والتّي تمرّ عادة عبر التضحيّة بمطالب الثورة، خصوصاً أنّ المرحلة المقبلة مؤهّلة لأن تكون فترة تُفتح فيها الملفّات الكبرى كالعدالة الانتقالية، والإصلاحات الاقتصادية والجبائيّة، وانتخاب السلطات المحليّة التّي تقتضي إعادة صياغة النظام السياسي ونمط التنميّة الذّي عرفته تونس منذ استقلالها.

التوافق لإعادة الاعتبار للسياسة

يطرح كثيرون التمديد لحكومة التكنوقراط كحلّ لتجاوز انقسامات الطبقة السياسيّة وعجزها عن التوافق. ينظر هؤلاء للتكنوقراط على أساس أنهّم يمثّلون الكفاءة والحياد والابتعاد عن الحسابات الحزبيّة، معتبرين أنّ المواطن العادّي ضاق ذرعاً بالصراعات السياسيّة، وأنّه يبحث عن حلول لمشاكله المعيشيّة، وأنّ هذه الحلول هي تقنيّة بالأساس مرتبطة بالقدرة على التنفيذ واتّخاذ القرار المناسب، وهذا ما لا يملكه السياسيّون. خطورة هذا الخطاب لا تكمن فقط في تمجيد التكنوقراط، ممّن جعلوا الحياد والصمت وغياب الموقف والانتهازيّة تحت الديكتاتوريّة.. ورقة لصعودهم بعد سقوطها، ولكنّه خصوصاً في تبخيس السياسة بما هي استفتاء في الخيارات الكبرى المطروحة اليوم في تونس، وحسم في الصراعات الاجتماعيّة والاقتصاديّة، بما يضمن إعادة الاعتبار للفئات والجهات المهمّشة. تبخيس السياسة والتعالي عليها يعكس رفضاً للاحتكام إلى الشعب، مصدر السيادة في الديموقراطية التمثيليّة. حكم التكنوقراط فيه تعالٍ عن السياسة ودعوة إلى الحكم بدون الشعب. التوافق على حكومة وحدة وطنيّة في المرحلة التّي ستلي الإعلان عن النتائج لن يكون مجرّد خطوة على طريق إرساء قواعد إدارة الشأن العامّ بين مختلف الأطراف السياسيّة، بل فرصة حقيقيّة لإعادة الاعتبار للسياسة، خصوصاً أنّ التقديرات بارتفاع نسبة العزوف عن التصويت قد تُشكّل امتحاناً حقيقيّاً لكلّ الطبقة السياسيّة.

(تصوير : مليحة مسلماني – تونس)

حمزة المؤدب

باحث في العلوم السياسيّة
بالجامعة الأوروبيّة في فلورنسا/ إيطاليا، من تونس

خريطة الطبقة الوسطى المصرية في التعليم

هل ما زالت الطبقة الوسطى في مصر موجودة أم أنها تآكلت؟ هذا السؤال يشغل ليس المتخصصين أو المهتمين بالثقافة فحسب، بل المواطن العادي منذ «ثورة 25 يناير»، على اعتبار أنها ثورة شباب الطبقة الوسطى ذوي التعليم الجيد في المدارس الخاصة.

التعليم أم الطبقة أولاً؟

الطبقة الوسطى في مصر موجودة ولكنها مفككة ومتآكلة. قد ترجع بداية الانهيار إلى منتصف سبعينيات القرن العشرين، مع سياسات الانفتاح الاقتصادي التي قررها السادات. وتعزز ذلك في أوائل التسعينيات بدخول الاتفاق مع صندوق النقد الدولي إلى حيز التنفيذ، ثم بتولي الليبرالية الجديدة حكم الاقتصاد المصري في أوائل الألفية الحالية، وهو ما نتج عنه انحدار فئات من الطبقة الوسطى إلى فئة الفقراء، الذين وصلت نسبتهم طبقاً للإحصاء الأخير إلى ما يقرب من 32 في المئة من إجمالي عدد السكان.

وعلى كثرة الدراسات التي تخصّ الطبقة الوسطى بأحوالها الثقافية والاقتصادية، فإن هناك ندرة بما يخصّ التعليم وأنماط التعلّم داخلها وأنواعه وعدد طلابها وتصنيفهم وعدد مدارسهم.. مع الأخذ بالاعتبار أن الفرضية الرئيسة في تشكيل وتعريف الطبقة الوسطى هي أنها تكوّنت مع بداية التعليم المدني الحديث الذي يؤرخ له بحكم محمد علي قبل مئتي عام. استمرت مجانية التعليم لأكثر من 80 عاماً، حتى جاء الاحتلال الانجليزي عند نهاية القرن التاسع عشر وقلصها وقصرها على الكتاتيب والمدارس الأولية. وحدثت زيادة طفيفة في شريحة الطبقة الوسطى مع افتتاح الجامعة المصرية بالاكتتاب الشعبي. ولكن الطفرة الحقيقية لم تحدث إلا في عهد عبد الناصر، بفعل تعميم التعليم المجاني الجيد للجميع، حيث أصبحت المدرسة الحكومية هي الأساس على الرغم من وجود التعليم الخاص الذي أنشأه الاحتلال الانجليزي والذي ظلت نسبته ضئيلة لا تتجاوز 4 في المئة في مرحلة التعليم قبل الجامعي، وتنعدم نهائياً في هذا، باستثناء الجامعة الأميركية بالقاهرة، التي كان ينظر إليها على أنها أقل مكانة علمية، وتقبل الأغنياء ذوي المستوى العلمي الضعيف.

الانقسام..

المهم هو تحليل وربط هذه المقدمات التاريخية بما يحدث الآن. فقد امتدت سياسة الانفتاح الاقتصادي في منتصف السبعينيات الى التعليم بتحويل عدد من المدارس الحكومية المجانية في المناطق التي تسكنها الطبقة الوسطى، مثل مصر الجديدة ووسط البلد والدقي.. إلى «مدارس لغات» حكومية. وكانت الحجة تلبية احتياجات سوق العمل والانفتاح على العالم وتوفير المناخ للشركات العالمية. وبدأت التجربة بخمس مدارس ذات كلفة قليلة، ثم تضاعفت أعدادها بنهاية السبعينيات من القرن الماضي على حساب المدارس العامة. وبهذا وضعت أول بذرة لانقسام التعليم الرسمي وازدواجيته، وبدأ ما يمكن تسميته خصخصة التعليم برعاية الدولة. بالمقابل، حينما وجد القطاع الخاص هذا المناخ، سارع بدوره لتحويل عدد من مدارسه إلى التدريس باللغات الأجنبية. وقرب نهاية السبعينيات، أدخلت لأول مرة الشهادة الانجليزية إلى السوق التعليمي، واستقطبت الكثير من أبناء المسئولين الكبار وأبناء الطبقة الجديدة التي استفادت من سياسة الانفتاح الاقتصادي. كما استطاعت هذه الفئات عن طريق علاقاتها أن تمرّر الموافقة على قبول هؤلاء الطلاب في الجامعات الحكومية المجانية وليس فقط في الجامعة الأميركية. ومن المعروف أن ذلك هو حال عدد من أبناء رئيسي مصر السادات ومبارك.

استمرت السياسات نفسها في السنوات العشر الأولى لحكم مبارك، مع مزيد من التوسع في تحويل المدارس الحكومية إلى «الخصخصة باللغات»، في ظل عدم توفير الموازنات الكافية أو حتى الحد الأدنى منها للتعليم الحكومي المجاني. ثم فوجئ المصريون في نهاية الثمانينيات بموافقة الحكومة على اقتراح وزير تعليمها (فتحي سرور الذي تمّت مكافأته بعدها بتولي منصب رئيس مجلس الشعب)، بضرورة إلغاء سنة دراسية كاملة من السلم التعليمي بحجة عدم توفر الاعتمادات المالية. وأدى ذلك إلى زيادة الضغط على الطبقة الوسطى لإخراج أبنائها الى «التعليم بمصروفات (اقساط)»، سواء الحكومي أو الخاص، لتصبح أعداد المدارس الحكومية الخاصة (يطلق عليها «التجريبي») أكثر من 100 مدرسة تضم أكثر من نصف مليون طالب. ثم حدث تطور هام آخر، تحديداً عقب حرب الخليج الأولى، حيث تم توقيع اتفاق مع صندوق النقد الدولي لافتتاح أول مدرسة دولية أميركية في القاهرة، ليصبح لدينا مع بداية الألفية ثلاثة نماذج تعليمية لأبناء الطبقة الوسطى: «الخاص عربي» ونسبتهم فيها لا تقلّ عن 50 في المئة من شريحة طلاب المدارس الخاصة، وإجمالي عددهم يصل إلى مليون ونصف تلميذ، بنسبة تقترب من 12 في المئة من عدد الطلاب الإجمالي في البلاد، و«الخاص لغات» و«الحكومي لغات»(40 في المئة)، وحوالي 9 في المئة يدرسون «المناهج الأجنبية» بالكامل، وهم حوالي مليون آخر من إجمالي أعداد الطلبة.

لوحة فسيفسائية

التحوّل الأكبر في خريطة التعليم المصري بدأ منذ العام 2004، مع الظهور الرسمي لجمال مبارك ومجموعته. فكانت أولى قراراتهم هي الاعتراف بتدني مستوى «المدارس الحكومية للغات بمصروفات» (وليس التعليم المجاني!!)، ولذلك أنشأوا «مدارس المستقبل» على اسم جمعية جمال مبارك، وهي مدارس لغات حكومية أيضاً ولكن بمصروفات أعلى بكثير. ولما لم تنجح التجربة بعد عامين من التطبيق، تركوها وأنشأوا «المدارس الحكومية المتميزة للغات» بأقساط تجاوزت الـ500 دولار سنوياً. ولما لم تنجح كل هذه التجارب، تمّ التحول النهائي العام 2009 إلى إنشاء الحكومة لمدارس تدرس بالأجنبية المناهج الانجليزية وليس الوطنية. خمس مدارس حكومية في المحافظات اقساطها بين 1300– 2000 دولار سنوياً. وكانت الحجة بأن الطبقة الوسطى لا تستطيع توفير التعليم الأجنبي الكامل لأبنائها، ولا بدّ من توفير الدعم لهم، ولكن هذه المرة بالابتعاد تماماً عن التعليم الوطني. وكان القطاع الخاص قد سبق وحوّل أغلب مدارسه الكبيرة إلى التعليم الأجنبي شكلاً ومضموناً، ووصلت الاقساط السنوية الى ما بين 4 و5 آلاف دولار أميركي، لتصبح الخريطة قرب نهاية عصر مبارك تشمل حوالي 260 مدرسة دولية تضم أكثر من نصف مليون طالب يمثلون الشريحة الأعلى من الطبقة الوسطى.

7 ملايين طالب

ارتفعت أعداد هذه المدارس لتصل هذا العام إلى حوالي 300 مدرسة دولية طبقاً لأرقام «جمعية أصحاب المدارس الخاصة»، مع ارتفاع في اقساطها وصل إلى حوالي 6 آلاف دولار للشهادات الانجليزية والأميركية. كما زاد عدد طلابها عن 700 ألف طالب من إجمالي 2 مليون طالب مسجلين بالمدارس الخاصة. وإذا أضفنا إلى ذلك الرقم حوالي 800 مدرسة «حكومية لغات» بأنواعها الثلاثة، وبمتوسط 4 آلاف طالب طبقاً لأرقام مسئولة التعليم التجريبي، يصبح إجمالي العدد أكثر من 3 ملايين طالب.. بجانب المدارس الخاصة المؤممة في عهد عبد الناصر وعددها 40 مدرسة، ومئات المدارس المسيحية الخاصة. وبذلك تصبح خريطة الطبقة الوسطى الآن تدور حول رقم 7 ملايين تلميذ، أي حوالي ما يقرب من 35 في المئة من إجمالي عدد الطلاب البالغ حوالي 17 مليون طالب. كما تتميز خريطة الطبقة الوسطى في التعليم بانقسامها من الداخل إلى شرائح العليا وتبلغ أكثر قليلاً من مليون طالب، وفي الوسط هناك حوالي 3 ملايين طالب، أما الطبقة المتوسطة الدنيا ففيها كذلك حوالي 3 ملايين طالب. ولم نتحدث بعد أو نشير إلى التعليم الخاص الأزهري والذي طبق أيضاً مع وصول الليبرالية الجديدة إلى الحكم...

نستنتج من ذلك أن أكثر من نصف طلاب مصر يدفعون نفقات تعليمهم. والنصف الآخر في المدارس المجانية يدفع التكلفة أيضاً من خلال الدروس الخصوصية التي أصبحت شبه إجبارية للجميع. أما الـ32 في المئة (من مجمل السكان، وهم الفقراء)، فيتسربون خارج المدارس منذ المرحلة الابتدائية. ويتمّ كل ذلك على الرغم من وجود النص عن مجانية التعليم بالدستور منذ سبعينيات القرن الماضي!

إيمان رسلان

صحافية مصرية متخصصة بالتعليم، من مصر

رجعت بالأمس من داعش. أوف. عظيم. قضيت أسبوعاً ولكن روعة. نعم، كنت أنا والمدام، شهر عسل قصير، ولكن تأشيرتهم صعبة قليلاً. وموظفو السفارة عندهم أغبياء قليلاً. سألوني إن كان لديّ أي نشاط ضد الدولة الإسلامية فقلت لهم حتى لو كان لي نشاط ضد الدولة الإسلامية فهل تتوقعون أن أخبركم، وضحكوا.

ولكن فظيع، الطبيعة هناك خلابة. والأكل عندهم جميل، والناس متعاونون ويحبوننا، وعرض عليّ بعض أصدقائي من هناك العمل، هناك يحتاجون لمهندسي بترول مثلي. لطيف والله. أفكر في الأمر. ولمَ لا؟ أنا متزوّج حديثاً وأحتاج للمال. ولكن المشكلة أنهم لا يتكلمون سوى الداعشية. هم مثل الألمان في هذا. وأنت تعرف الداعشية، خليط من العربي والتركي والكردي، وأنا جيّد في العربي، يعني سيكون سهلاً عليّ تعلمها. سأبدأ في تعلمها أول الشهر المقبل.

طبعاً هناك مشكلة أنهم، تعرف، أشداء قليلاً، يقطعون رؤوس المعارضين السياسيين ويقطعون أيادي الجناة، وهكذا.. ولكني بصراحة ذاهب لآكل عيش. لا تكن مثالياً. ثم أن، بصراحة، الدول لا تقوم إلا هكذا، أعني بقبضة قوية، هل تعجبك بلدنا.

ثم أنا ذاهب لأتعلم، أريد أن أرى السينما الداعشية التي يتحدثون عنها في العالم. العالم كبير يا صديقي ونحن نعيش في هذه الرقعة الصغيرة. شوف، اعتبرها تجربة، سأذهب وأرى الوضع هناك، وإذا أعجبني سأخبرك، وإذا تحمّست فقد أنجح في إرسال عقد عمل لك هناك أيضاً. ما رأيك؟

(نص نائل الطوخي ورسم أحمد مخلوف)

العربي السفير

22،7 مليار دولار هو حجم الدين العام الذي وصلت إليه اليمن حتى نهاية أيلول/ سبتمبر 2014، بحسب المصرف المركزي في اليمن، الذي أشار إلى أن هذه النسبة هي الأعلى في تاريخ البلاد مما سيضاعف معدل التضخم وانخفاض سعر صرف العملة المحلية (الريال) تدريجياً.

متابعات

الآمال والآلام الكبرى في مصر العلاج الجديد لـ «فيروس سي»

هناك 12 إلى 15 مليون مصري مصابون بالتهاب الكبد الفيروسي («فيروس سي»)، أي ما يقارب 22 في المئة من مجمل السكان، بحسب تقديرات منظمة الصحة العالمية والجهات الرسمية المصرية.. ما يجعل مصر تحتل المرتبة الأولى عالمياً لهذه الجهة، إذ يبلغ عدد المصابين في العالم 200 مليون إنسان. واليوم يعيش المرضى المصريون على أمل محفوف بآلام كبرى، ليس فقط بسبب التليف والتشمع الذي يسببه فيروس سي، ولكن خوفاً من أن يكون الحديث الدائر عن أدوية جديدة ستصبح في متناولهم مجرد سراب.

«سوفالدي».. هو الاسم الأكثر شهرة الآن، تردد اسمه السيدة البسيطة «محروسة» في رحلتها من مدينة الفيوم إلى القاهرة لمتابعة حالتها المرضية، ويقرأ عن تركيبته العلمية باستفاضة الطبيب «حمدي» المصاب هو الآخر بالفيروس، انتقل له بسبب المستوى المتردي للنظافة في المستشفيات المصرية، فالفيروس ينتقل عبر الدم الملوث.

المعلومات الرئيسية الأكيدة التي أعلنت عنها الحكومة المصرية تشير إلى التعاقد مع شركة «جلياد» الأميركية من أجل الحصول على 225 ألف جرعة من علاج سوفالدي الجديد، وبدء تسجيل قاعدة بيانات المرضى الأكثر حاجة بما يسمح بعلاج 70 ألف مريض في الفترة من تشرين الأول الحالي وحتى آذار 2015.

ووفقاً لما أعلنت عنه اللجنة القومية لمكافحة فيروس سي (لجنة حكومية تولت المفاوضات من اجل الاتفاق على استيراد الدواء الجديد)، فإن الدولة ستتحمل نفقات شراء سوفالدي الذي تبلغ تكلفة العلبة الواحدة منه 2200 جنيه ما يعني 14200 جنيه لحصة العلاج للمريض الواحد، وتكلفة إجمالية خلال الشهور القادمة تتخطى 450 مليون جنيه مصري.

وطبقاً للقواعد المعلنة، فسوف يتم تصنيف المرضى في قسمين، الأول: الحالات الأشد خطورة وتحصل على علاج ثلاثي وهو «سوفالدي» (الدواء الجديد) مع الأدوية المطبقة سابقاً، والثاني (الحالات الأقل خطورة) يحصلون على علاج ثنائي يتضمن الدواء الجديد.

أما عن كفاءاته الطبية فيقول د. هشام الخياط أستاذ الأمراض الكبدية إن نسبة الشفاء منه كعلاج ثلاثي تصل إلى 80 في المئة، بينما هي لم تكن تزيد مع «الأنترفيرون» وحده عن 50 في المئة. وعن المدى الزمني قال الطبيب خالد قابيل، عضو اللجنة القومية لمكافحة الفيروسات الكبدية، إن لجنته تعمل وفق برنامج طموح ومنظم يهدف للقضاء على فيروس سي في مدة تتراوح بين 5 و7 سنوات.

المرضى المرهقون بحثاً عن الأمل

أمام ما سبق ـ وهو ما تبنّه وسائل الإعلام الرسمية ـ امتلأ قلب «محروسة» بآمال كبرى، فتوجهت إلى مركز من بين المراكز الـ26 المعلن عنها على مستوى الجمهورية من اجل تسجيل اسمها، وقد نجحت في مهمّتها بعد أن تكلفت مبلغاً كبيراً من أجل إجراء فحوصات طبية سبق وأجرتها عدة مرات وهي مسجلة في ملفها الطبي. ومدفوعاً بالأمل، انطلق الطبيب «حمدي» في رحلته إلى مدينة شبين الكوم بالدلتا حيث أحد أشهر مراكز علاج الكبد في مصر، وفوجئ هناك بعدة أشياء منها عدم إدراج هذا المركز الأكثر كفاءة ضمن مراكز تقديم سوفالدي، وكذلك عدم توافر الأجهزة اللازمة لإجراء التحاليل والأشعة المطلوبة. وهو أعلن عن تخوفه واكتفى بضرب مثل بالتعطيل المتعمد لهذا المركز الكبير قائلاً: «اعلم أن السبب يتعلق بصراعات حول التبعية الإدارية للمركز، وأنه مستقل لا يتبع وزارة الصحة التي قادت المفاوضات، فإذا كان هذا هو الحال فكيف يمكن الثقة بهم وأنا أتناول العلاج الجديد!».

وتقول السيدة «محروسة محمد»: «اكتشفت إصابتي قبل سنوات عدة، لكن طبيب معهد الكبد بالقاهرة أخبرني أن علاجي سيستغرق عاماً كاملاً بحقنة إنترفيرون أسبوعياً.. وثمن الحقنة الواحدة نحو 1500 جنيه (270 دولاراً تقريباً)، وأضيف إليه بعد ذلك علاج الريبافرين بتكلفة 200 جنيه للعلبة الواحدة، ويستغرق إنجاز أوراق العلاج على نفقة الدولة وقتاً ومجهوداً كبيرين، وينبغي تجديد تلك الأوراق كل 3 أشهر، لكن حالتي لم تتحسن بل انتقلتُ لمرحلة التليف، ولهذا فلدي أمل بأن أكون من أول المستفيدين من العلاج الجديد، والأهم بأن يأتي بنتيجة».

أصوات محذرة

الصوت الثالث بهذا الملف جاء على ألسنة النقابات المهنية والأطباء المختصين. فمن مؤتمر داخل نقابة الصيادلة لم يحظَ بالتغطية الإعلامية المناسبة (مقارنة بما تحظى به اللجنة الرسمية)، قال الدكتور وائل هلال، أمين صندوق نقابة الصيادلة: «لم تعدّ وزارة الصحة دراسات على عقار علاج فيروس سي الجديد «سوفالدي» قبل طرحه للعلاج في الأسواق، للتأكد من أنه آمن وفعال للمرضى، وخاصة أن الدراسات الأولية في أميركا كانت على النوعين الجينيين الأول والثالث، ونسبة قليلة جداً لا تتعدى 9 في المئة على النوع الجيني رقم 4 السائد والمنتشر في مصر. وأشار إلى أن وزارة الصحة تفاوضت لتوفير الدواء في مصر، واشترته بثمن مرتفع للغاية، في حين أن له مثيل ينتج بأسعار أدنى بكثير. وأكد أن الوزارة كان باستطاعتها إنتاج الدواء في مصر، مشيراً إلى أن الدولة التي فيها وباء من حقها إنتاجه لإعطائه للمواطنين من دون الحاجة إلى موافقة الشركة، مثلما فعلت دول مثل الهند التي تعاقدت على إنتاجه وتصديره لـ91 دولة.

وفي الاتجاه نفسه جاء الرأي الطبي للاستشاري في المعهد القومي لأمراض الكبد محمد عز العرب، فقال: «جميع المؤتمرات العلمية العالمية تؤكد اخذ العقار مع حبوب الريبافيرين والانترفيرون لمدة 3 شهور كعلاج ثلاثي، أما اخذ علاج ثنائي من خلال تناول السوفالدي مع الريبافيرين، فلا توجد أدلة علمية قوية على فعاليته»، مؤكداً أن استخدام العلاج الثنائي في مصر يُعدّ نوعاً من إجراء التجارب على المرضى. كما شنت ممثلة «المركز المصري للحق في الدواء»، كجهة حقوقية، حملة للتحذير مما أسمته «خطايا في ملف بيزنس الكبد» في مصر، وقال محمود فؤاد رئيس المركز، إن الفساد يريد أن يأتي على ما بقي من أكباد المصريين المتعبة، وأن اللجنة لم تفشل فقط في الحصول على حق التصنيع أو التخفيض في سعر الدواء، لكنها منحت توزيعه لشركة مصرية خاصة تربط صاحبها علاقة كبيرة برئيس هيئة حكومية كبرى، وهو ما وصفه بـ«الصفقة». وفي اتجاه آخر، أشار إلى أن «اللجنة القومية لمكافحة فيروسات الكبد في مصر»، والتي تم تأسيسها عام 2008، لم تعالج حتى الآن سوى 240 ألف مصري. وتساءل كيف يمكن إعطاء وعود بالقضاء على المرض خلال 5 ـ 7 سنوات؟

بوجه هذه الاتهامات، تأتي ادّعاءات من جهات رسمية أو من الإعلام الداعم لها عن سيطرة جماعة الإخوان المسلمين على مجالس النقابات المهنية وعن وجود أجندة خارجية للمنظمات الحقوقية العاملة في مصر.

وبين مطحنة الاتهامات التي اتسعت لتشمل كل مناحي الحياة في مصر على مدار العام الماضي، يتكدس المرضى في «الممرات» العابقة برائحة الفورمالين والعرق في انتظار شفاء قد يأتي أو.. لا يأتي.

منى سليم
صحافية من مصر

حلم ..

خلود السباعي / سوريا

arabi@assafir.com

المزيد على موقع «السفير العربي»: arabi.assafir.com
ـ «استشراق النساء» أو في تمثيل «الجنوسة» ـ حمّود حمّود
ـ عن مسابقات الرقص الشرقي في مصر ـ محمود عبد الرحيم
ـ السلطة المصرية والجامعات ـ باسم راشد
ـ الشاطئ الغربي للولايات المتحدة ضد إسرائيل ـ دايخة الدريدي
على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
على «تويتر»: السفير العربي ـ Assafir Arabi@

.. بألف كلمة

أطفال الأقصى

ألوانٌ من ساحات الأقصى (من مهرجانات «طفل الأقصى» – تصوير محمد بدارنة)

مدونات

10 مشاكل تعاني منها مدينة جدة!

أود التنويه بأن ما سأكتبه ليس عن دراسة ولا إحصائيات، ولكنها مجرد ملاحظات يدركها كل من يعيش في مدينة جدة (العروس سابقاً)، وهي مشاهدات مؤلمة نراها كل يوم، والمتسبّب فيها أطراف عدة منها أمانة جدة ومرور جدة وسكان جدة. أتمنى من الجميع المشاركة في رصد المشاكل واقتراح الحلول، فأهل جدة لا ينقصهم العلم ولا الأفكار الخلاقة ولا الخبراء، ويبقى التنفيذ والمتابعة على عاتق المسؤولين.

– مخلفات البناء: يكاد لا يخلو شارع في جدة من مخلفات البناء في الأحياء الصغيرة والكبيرة على حدّ سواء. مخلفات البناء هذه تتراكم بعد مدة بشكل يوحي للمشاهد أنها مكبّ نفايات، بل لا يمكن التفرقة بينها وبين أي حاوية قمامة أمام بيوتنا! منظر غير حضاري بالمرة، هذا بالإضافة إلى أنه مُقرف وغير صحي على الإطلاق! ألا ترى البلدية هذه المشكلة؟ هل تحرص على حلّها؟ هل تتابعها وتعاقب مرتكبيها؟

– مواقف السيارات الفوضوية العشوائية: نظرة سريعة إلى شارع فلسطين أو شارع حراء أو شارع المكرونة وستعرفون حجم المشكلة والمعاناة! معظم المحلات والدكاكين لا توفر مواقف للسيارات وهذه غلطة فادحة في التخطيط، إذ كيف يُعطى أي محل تصريحاً من دون وجود مواقف للسيارات؟ (...)

من مدونة «مها نور» السعودية (9 تشرين الأول/أكتوبر 2014)
http://mahanoor.wordpress.com

مشروع دعم المكتبات المدرسية

ماذا يحدث عندما يفقد الإنسان الأماكن التي ارتبط بها؟ شخصياً، وفي أبو ظبي، فقدت كل الأماكن التي كان لها أثر في حياتي. ذهبت. جاء الجديد بعدها، وأشعر بأنني فقدت شيئاً لا أستطيع وصفه...

المجمع الثقافي مات كمؤسسة ومكان، وإن كان المبنى ما زال موجوداً، وهذا يعطيني بعض الأمل بعودته إلى نشاطه السابق. بحر البطين تغير كلياً ولم يعد له صلة بما كنت أعرفه، لم يعد عفوياً بسيطاً. كنت أحياناً أهرب من المدرسة لأجلس على شاطئ هذا البحر وأراقب الصيادين وهم يبيعون أسماكهم، أو أتناول وجبة في مطعم هندي رخيص. أمّا السوق المركزية السابقة، فهُدمت منذ سنوات وظهرت مكانها مبان ليس لها صلة بماضي المكان.

السوق المركزية في أبو ظبي يقسمها شارع إلى نصفين، أحدهما يسميه الناس السوق القديمة، والآخر السوق الجديدة. كنت أحب القسم القديم منه أكثر من الجديد، لأنه يبدو لي رحباً وفاتحاً يديه للناس: كان هناك طريق عريض يقطع السوق في منتصفها من أولها إلى آخرها، رصيف واسع يسير فيه الناس من دون أي خوف من السيارات، وعلى جانبيه محلات مختلفة تقطعها أحياناً حدائق صغيرة وممرّات، وكثير من هذه الممرات لها سقف يحمي الناس من الشمس...

من مدونة «عبد الله المهيري» الإماراتية (السبت 4 تشرين أول/أكتوبر 2014)
http://abdulla79.blogspot.com

شتات الذكريات من السوق القديمة

ماذا يحدث عندما يفقد الإنسان الأماكن التي ارتبط بها؟ شخصياً، وفي أبو ظبي، فقدت كل الأماكن التي كان لها أثر في حياتي. ذهبت. جاء الجديد بعدها، وأشعر بأنني فقدت شيئاً لا أستطيع وصفه...

المجمع الثقافي مات كمؤسسة ومكان، وإن كان المبنى ما زال موجوداً، وهذا يعطيني بعض الأمل بعودته إلى نشاطه السابق. بحر البطين تغير كلياً ولم يعد له صلة بما كنت أعرفه، لم يعد عفوياً بسيطاً. كنت أحياناً أهرب من المدرسة لأجلس على شاطئ هذا البحر وأراقب الصيادين وهم يبيعون أسماكهم، أو أتناول وجبة في مطعم هندي رخيص. أمّا السوق المركزية السابقة، فهُدمت منذ سنوات وظهرت مكانها مبان ليس لها صلة بماضي المكان.

السوق المركزية في أبو ظبي يقسمها شارع إلى نصفين، أحدهما يسميه الناس السوق القديمة، والآخر السوق الجديدة. كنت أحب القسم القديم منه أكثر من الجديد، لأنه يبدو لي رحباً وفاتحاً يديه للناس: كان هناك طريق عريض يقطع السوق في منتصفها من أولها إلى آخرها، رصيف واسع يسير فيه الناس من دون أي خوف من السيارات، وعلى جانبيه محلات مختلفة تقطعها أحياناً حدائق صغيرة وممرّات، وكثير من هذه الممرات لها سقف يحمي الناس من الشمس...

من مدونة «عبد الله المهيري» الإماراتية (السبت 4 تشرين أول/أكتوبر 2014)
http://abdulla79.blogspot.com